الحارس الأمين

أخيراً تحركت الدول العربية ، بعد صمت طويل .. طويل جداً للوقوف بجانبنا نحن شعب (غزة) المحاصر منذ شهور ، بعدما شاهدونا عبر شاشات التلفاز ، والحب يموت ، والعمر يموت ، والحلم يموت ، والشباب يشيخ والمولود يعلن عن موته قبل المجيء ، وأصبحت تسود فيما بيننا الوحدة .. العزلة .. إحساسنا بالمطاردة الدائمة

لقد اتفقت – أخيراً – جميع الدول العربية على أن تخرج من كل دولة أفضل ما لديها من جنود مهرة ، ثم يتم توزيعهم على مدينة (غزة) بحيث يصبح نصيبَ كل بيت في (غزة) جندي عربي شجاع ، يجلس داخل البيت ليل نهار لحماية أفراده ، وقد كان من نصيب أسرتي هذا الجندي الجالس في بيتنا ليل نهار ، حتى أصبح فرداً من أفراد الأسرة ، يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، والحق يقال إنه منذ أن وطأت قدماه داخل دارنا ، لم يحدث لنا مكروه قط ، وراح السلام والأمان يعشش في أرجاء البيت ..

_ 2 _

- خيرا اللهم اجعله خيراً ، أنا قلبي متخوف هذه الليلة ..

قالتها زوجتي ثم وضعت يدها أسفل ذقنها ، وجلست في حزن شديد ، رحت أطمئنها :

- كيف تخافين، والجيوش العربية تقوم على حراستنا

_ 3 _

طار النوم من عيني ، محلقاً بجناحيه في الهواء، بعدما تغول بداخلي هذا الخوف الذي زرعت زوجتي بذرته داخلي ، فصار الخوف يجرى في عروقي مختلطاً بدمائي

قمت حاملاً بين يدي سكين الوهم ؛ كي أقطع بها الشك باليقين ، رحت أتجول داخل حجرات البيت ، أخرج من حجرة ، لأدخل أخرى ، لأجد الهدوء يعم المكان ، وكل شيء على ما يرام ، زوجتي تنام على سريرها تغط في نوم عميق ، وطفلي الوحيد نائم في حجرته ممسك بمسدسه (اللعبة) .. يدخل به حلمه الذي لم يتغير حتى الآن ، والذي دوماً يقصه علىَّ فور استيقاظه من نومه وهو يطير فرحاً :

(بابا أنا حلمت إنى قتلت عشرة جنود إسرائيليين)

عدت إلى حجرتي ، في محاولة منى للإمساك بحبال النوم مرة أخرى رويداً ..

رويداً ..

عاد طائر النوم يحط على حجرتي مرة أخرى ، حتى احمرت عيناي ، ودمعتا من كثرت تثاؤباتى ..

دقائق وشعرت بأصوات غريبة داخل البيت ، لم أعتدها من قبل ..
رحت أطمئن نفسي :
- إنه القلق .. نعم القلق اللعين الذي راح يتغلغل داخلي في حرية ..
الصوت الغريب راح يزداد داخل البيت ، تبعته صرخات طفلي (صلاح الدين) .. تلك الصرخات التي راحت تخترق أذني بشدة :
- أنقذني يا أبى .. جندي إسرائيلي يقوم بخطفي الآن ..
رحت أوقظ (الجندي العربي) ، وأخبرته بما سمعته ، رد على في ثقة زائدة عن الحد :
- لا تخف اتركه يأخذ الطفل ، فلن يخرج الجندي سالماً
عقدت الدهشة لساني ..
رحت أتحرك في عصبية شديدة داخل الحجرة عاقداً يدي خلف ظهري ، تلازمني عيناه أينما تحركت ..
يأتيني صوت زوجتي سريعاً كطلقات رصاص :
- أنقذني يا أبا (صلاح الدين) جندي إسرائيلي يقوم بخطفي الآن .. جن جنوني ..
صرخت في وجه (الجندي العربي) الذي لم يتحرك قط :
_ إنت ..
فاجأني بقوله البارد مثل لوح الثلج :
_ قل لزوجتك لا تخف ، ولتأمرها أن تذهب معه في هدوء دون مقاومة ، هدوءنا هذا تتبعه عاصفة قوية مخططة ..
ركبني ألف عفريت ، ولفني ذهول أفقدني عقلي ، وجعلني أصمت مرغماً كاتماً بركان غيظي ..

ساد الصمت بيننا قليلاً وثقيلاً ..
طق .. طق .. طق
دقات ثلاث فوق باب حجرتنا ..
رد (الجندي العربي).. دون أن يعرف من الطارق :
_ تفضل ..
مبتسماً دخل حجرتنا ، تسبقه إلىَّ خطوات الواثق من نفسه ، حملني بين يديه كطفل رضيع دون أدنى مقاومة منى .. _فجسدي أنهكه المرض حتى صرت كعود القصب الممصوص_ وقبل أن يخرج بي (الجندي الإسرائيلي) صرخت في وجه (الجندي العربي) في ذهول :
_ أنا مخطوف الآن ، ولم يتبق غيري في البيت ..
فتح فمه الذي تساقط من فكيه معظم أسنانه ، وما تبقى أصابه عطب التسوس ، ثم راح يتمطع ويقول بعد أن أنهى تثاؤباته :
_ اذهب .. اذهب معه مستسلماً دون مقاومة ، إنها خطة محكمة ، هذا الهدوء لم يأت من فراغ ..
التفت إلىَّ الجندي الإسرائيلي الذي ما زال يتبسم في سخرية .. مرغماً .. مستسلماً خرجت معه محمولاً بين يديه دون مقاومة ، وقبل أن أغادر باب الحجرة ، نظرت خلفي حيث مكان السلاح العربي) المنكس والمرابط بجوار (الجندي العربي) .. الذي يغط في نوم عميق ...!!!!!!